رابطة العالم الإسلامي

المجمع الفقهي الإسلامي

الدورة الحادية والعشرون للمجمع الفقهي الإسلامي
المنعقدة في مكة المكرمة

زواج القاصرات بين الدين والعادات

د. عادل العبد الجبار

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة زواج القاصرات من رجال يكبرونهن سنا.. وبالرغم من وجود هذه الظاهرة سعى البعض لوضعها في نطاق ضيق باعتبارها حالات شاذة لا تصل لأن تعتبر ظاهرة, إلا أن تزايد القصص التي نسمعها بين الفينة والأخرى جعلت هذه الظاهرة الشغل الشاغل لقضاة وطلبة علم وناشطين حقوقيين وباحثين اجتماعيين, إذ إنها تمثل انتهاكا صارخا للطفولة المغتصبة, والتذرع بحجة الدين لتحقيق مصالح شخصية, يراها مختصون شذوذا أن يلتفت الشيخ السبعيني مثلا لطفلة لم تتجاوز الثاني عشرة سنة, بينما يسعى حقوقيون لتجريم زواج القاصرات والدعوة لسن قانون تحديد عمر معين للزواج, فيما ينافح بعض طلبة العلم والقضاة في الرد على من يسعى لتحديد سن معين للزواج والرد على من يسيء للشريعة الغراء باتهامها باغتيال براءة الطفولة ووئد كل ما يثار من شبهات حولها في مهدها..

لكل هذا ولأهمية القضية سعينا للبحث حول هذه الظاهرة بتعريفها وشرح أسبابها وبيان أضرارها وآثارها النفسية والاجتماعية ثم نعرج بالحديث لنظرة الشارع الحكيم وننتهي بالحديث عن رأي الباحث في هذه الظاهرة والنتائج والتوصيات..

راجين من الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم, فإن أصبنا فبتوفيق الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان..

مشكلة البحث:

تشير المعلومات والدراسات إلى تنامي ظاهرة تزويج القصر في المجتمع العربي بشكل عام, والمجتمع السعودي بشكل خاص, وقد زادت عدد الحالات المعروضة للقضاء للفصل فيها, مما فجر جدلا واسعا حولها.

إذ إن زواج القاصرات قد أدى لانهيار العرى والأواصر الاجتماعية وتفكك الأسر نتيجة عدم أهلية القاصرة لتحمل مسؤولية بيت وزوج وتنشئة أسرة وتربية أطفال, لذا كان الاهتمام بالدعوة لتطبيق معايير تكافؤ الزواج فهو الحل الأمثل والأسلم والأسرع لمعالجة هذه السلبيات التي رافقت الأنكحة المعقودة مؤخرا, ولكل هذه الأسباب جاء اهتمام العديد من الباحثين الاجتماعيين والكتاب والمحللين وغيرهم في معالجة هذه الأمور.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:-

١- التعرف على مفهوم القاصرات والأسباب التي تدفع الولي لتزويج القاصر.

٢- بيان الآثار التي تتسبب بها هذه الظاهرة صحيا ونفسيا واجتماعيا.

٣- التعرف على نظرة الشارع الحكيم.

٤- دحض الشبهات حول زواج النبي ﷺ بعائشة.

٥- تقديم الاقتراحات والتوصيات الملائمة.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من أهمية استقرار المجتمعات وصلاح النواة الأساسية لها ألا وهي الأسرة, التي تعتبر حاضنة ومربية الأجيال التي تسهم في نمو المجتمع وتطويره, كما يسهم هذا البحث إسهاما علمياً في حل مشكلة اجتماعية متجذرة في مجتمعاتنا بما يعزز الوعي لدى الفرد وتوسيع مداركه في فهم مقاصد الشريعة من سن الزواج وفق ضوابط وشروط, كما يهتم البحث في إبراز أهمية بناء أسرة مسلمة من زوجين متكافئين لتكوين جيل ناضج .

منهجية البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي والكمي العام وذلك بالاستناد إلى واقع المعلومات والنشرات والدراسات والدوريات العلمية ومصادر المعلومات الإلكترونية (الانترنت) المتوفرة.

ونظراً لأهمية البحث فقد تم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث, شمل المبحث الأول عرضاً لتعريف مفهوم وأسباب وآثار زواج القاصرات, في حين استعرض المبحث الثاني نظرة الشرع في تزويج القاصرات أو تحديد سن معين للزواج من خلال ذكر الأدلة النقلية من الكتاب والسنة , أما

المبحث الثالث فقد اشتمل على شبهة زواج النبي ﷺ بعائشة والرد عليها, واختتم البحث في المبحث الرابع الذي شمل رأي الباحث الذي توصل إليه في نهاية البحث والنتائج والتوصيات والمراجع.

أبيض

المبحث الأول
تعريف مفهوم وأسباب وآثار زواج القاصرات

تمهيد:

لقد جاءت الشريعة المحمدية بقواعد ومنهج قويم, ينظم سائر المعاملات في كل مناحي الحياة, وديننا الحنيف ما ترك شاردة ولا واردة إلا تناولها وفصل في شأنها, كما دلت الآية الكريمة **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** (المائدة: ٣).. وعلى ضوء الكتاب والسنة نستهل بحثنا هذا فبسم الله نبدأ..

(أ) تعريف مفهوم القاصرات:-

القاصر:

■ جمع قاصِرون وقُصَّر..

١ - اسم فاعل من قصَرَ وقصَرَ بـ / قصَرَ عن.

٢ - (القانون) مَنْ لم يبلغ سنّ الرُّشْد فيوضع تحت حماية وعناية وصيّ «ولد قاصر»[١].

■ قاصر: قصر قصورا عن الشيء فهو قاصر, أي تركه مع العجز, وله معاني أخرى كثيرة. واصطلاحا؛ الجاهل القاصر هو كل جاهل معذور بجهله إما لأنه غير ملتفت للمسألة التي يجهل بها أو لأنه ملتفت لكنه غير قادر على معرفتها, ويقال أيضا جاهل عن قصور مقابل المقصر[٢].

■ قاصر - قَاصِرٌ:

جمع: ون, ات. [ق ص ر]. (فاعل من قَصَرَ).

١- «لاَ يَزَالُ قَاصِراً»: فِي لُغَةِ الْفُقَهَاءِ الْعَاجِزُ عَنِ التَّصَرُّفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ, لَمْ يَبْلُغْ بَعْدُ سِنَّ الرُّشْدِ.

٢- «هُوَ قَاصِرُ الْيَدِ»: مَنْ لاَ سُلْطَةَ وَلاَ حَوْلَ لَهُ.

٣- «مَنْصِبٌ قَاصِرٌ عَلَيْهِ»: خَاصٌّ بِهِ.

٤- «قَاصِرَةُ الطَّرْفِ»: الْمَرْأَةُ الَّتِي يَشْتَدُّ حَيَاؤُهَا وَلاَ تَمُدُّ عَيْنَهَا إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا. **﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾** (الصافات: ٤٨) (قرآن)[١].

القاصرات:

يبدو أنه مصطلح معاصر للفتيات اللاتي لم يبلغن، ومعناه: العاجزات، وتحديد القصور من عدمه مرجعه إلى الشرع، والفقهاء اختلفوا

---

(١) أحمد مختار عمر, معجم اللغة العربية المعاصرة, عالم الكتب, ٢٠٠٨ القاهرة.
(٢) أ. د. أحمد الحجي الكردي, مصطلحات فقهية, ٢٠٠٦.
(١) د/عبد الغني أبو العزم, الغني.

في تحديد السن كأحد مناطات التكليف، ومعظم القوانين الدولية جرت على ما اتفق مع مذهب الحنفية، وهو بلوغ ثمانية عشر عاماً -وهذا عند الأحناف في الغلام، وأما الجارية عندهم فإذا بلغت سبعة عشر- والكلام هذا في التكليف، وأما في الزواج فليس في الشريعة تحديد له؛ لأن هذا مبني على المصلحة، وكل فتاة تختلف مصلحتها عن الأخرى، وإنما اكتفى الشارع باشتراط الوليّ لصحة عقد النكاح ثقة بأمانته ومعرفته بمصلحتها، والنبي ﷺ تزوج عائشة وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع سنين(٢).

(ب) الأسباب التي تدفع الولي لتزويج فتاته القاصرة:-

١- الجهل:

إذ ينتشر الجهل بين الأولياء ما يدفعهم لتزويج فتياتهم في سن مبكرة غير مدركين لأن القاصرة لا تستطيع تحمل عبء تكوين أسرة وتربية أبناء ورعاية زوج, وغير آبهين بالمستقبل الذي ينتظر طفلة نتيجة ارتباطها بمن يفوقها سنا والآثار النفسية والاجتماعية التي تلحق بالقاصر نتيجة هذا الارتباط.

٢- الفقر:

من الأسباب الرئيسية التي تدفع الآباء لتزويج بناتهم, ليخفف عن نفسه العبء المالي الذي تشكله البنت على رب الأسرة, أو طمعا في الحصول على عائد مالي مجزي يحسن من وضعه الاقتصادي وكأنها صفقة تجارية بعيدا عن إنسانيتها وحقها في اختيار شريك الحياة,وهذا يعتبر من الاتجار بالبشر..

٣- الخوف:

الذي يمثل هاجساً للولي من ناحية خوفه من تزايد وارتفاع نسبة العنوسة ما يدفعه لتزويج فتاته من غير الكفء أو الخوف من المستقبل متناسين أن الله خير الرازقين والزواج ما هو إلا قدر ورزق بيد الله لكن ضعف الإيمان ينفي التوكل ويدفع الأولياء للتخلص من بناتهم بتزويجهن.

٥- الموروث الاجتماعي:

فالتركيبة الاجتماعية للقبائل وبخاصة في الريف تساند هذا النوع من الزواج وتراه أمرا مقبولا في عرف القبيلة وخاضعاً لرغبة الزوج وولي الفتاة دون أدنى اعتبار لإنسانية وكينونة المرأة وكرامتها وحقها الذي كفله الإسلام لها في اختيار من ترضاه لتكمل نصف دينها وحياتها معه..

(ج) الآثار المترتبة على مثل هذا النوع من الارتباط:-

أولاً: آثار صحية وجسدية:

- اضطرابات الدورة الشهرية وتأخر الحمل.
- ازدياد نسبة الإصابة بمرض هشاشة العظام في سن مبكرة نتيجة نقص الكالسيوم.
- فقر الدم و حدوث القيء المستمر.

(٢) حامد الحمد,الإسلام اليوم,الفقه الإسلامي http://islamfeqh.com/News/NewsItem.aspx?NewsItemID=3049

- الإجهاض حيث تزداد معدلات الإجهاض والولادات المبكرة وذلك إما لخلل في الهرمونات الأنثوية وإما لعدم تأقلم الرحم على عملية حدوث الحمل، مما يؤدي إلى حدوث انقباضات رحمية متكررة تؤدي إلى حدوث نزيف مهبلي والولادة المبستر (المبكرة).
- عدم اكتمال النضج الجسدي, الذي يساعد في القيام بالعملية الجنسية السليمة, مما يؤدي إلى تمزق في الأعضاء الجنسية والأغشية المحيطة بها, بالإضافة إلى وجود نزيف قد يكون حاداً في تلك الأعضاء.
- ارتفاع حاد في ضغط الدم قد يؤدي إلى فشل كلوي ونزيف وحدوث تشنجات.
- زيادة العمليات القيصرية نتيجة تعسر الولادات في العمر المبكر.
- ارتفاع نسبة الوفيات نتيجة المضاعفات المختلفة مع الحمل.
- ظهور التشوهات العظمية في الحوض والعمود الفقري بسبب الحمل المبكر.

هذا بالنسبة للأم أما فيما يخص الجنين:

- اختناق الجنين في بطن الأم نتيجة القصور الحاد في الدورة الدموية المغذية للجنين.
- الولادة المبكرة وما يصاحبها من مضاعفات مثل: قصور في الجهاز التنفسي لعدم اكتمال نمو الرئتين، اعتلالات الجهاز الهضمي، تأخر النمو الجسدي والعقلي.
- زيادة خطر الإصابة بالشلل الدماغي.
- الإصابة بالعمى والإعاقات السمعية.
- الوفاة بسبب الالتهابات(١).

ثانياً: آثار نفسية واجتماعية:

❖الحرمان:

الحرمان العاطفي من حنان الوالدين, والحرمان من حقها في اختيار الزوج, والحرمان من عيش مرحلة الطفولة التي إن مرت بسلام كبرت الطفلة لتصبح إنسانة سوية، لذا فإن حرمانها من الاستمتاع بهذه السن يؤدي عند تعرضها لضغوط إلى ارتداد لهذه المرحلة في صورة أمراض نفسية مثل الهستيريا و الفصام، الاكتئاب، القلق واضطرابات الشخصية.

❖ الاضطراب:

اضطرابات في العلاقات الجنسية بين الزوجين ناتج عن عدم إدراك الطفلة لطبيعة العلاقة مما ينتج عنه عدم نجاح العلاقة وصعوبتها، قلق واضطرابات عدم التكيف نتيجة للمشكلات الزوجية وعدم تفهم الزوجة ما يعنيه الزواج ومسؤولية الأسرة والسكن والمودة، الإدمان نتيجة لكثرة الضغوط كنوع من أنواع الهروب.

❖ تكوين ناقص للشخصية:

كما أن حرمانها من التعليم له أثر سلبي عليها وعلى أطفالها,فطفلة لم تتعلم القراءة والكتابة والتفكير السليم ولم تكتسب أسسا في ثقافة تربية

(١) خالد أنور الشعلان (طبيب عام في مجمع الرياض الطبي وكاتب).

الطفل,يجعلها مصدراً لقرارات غير سليمة وحكيمة وغير مهتمة وقادرة على تعليم أبنائها.

❖ **العبودية:**

تصبح الزوجة القاصر مصابة بالعبودية للزوج وأهل الزوج نظرا لصغر سنها،خاصة بحصول الاعتداءات الجسدية واللفظية عليها.

❖ **الشعور بالدونية:**

تشعر الزوجة القاصر أنها عبء ثقيل على أسرتها,وأنها مكروهة من قبلهم نظرا لتزويجها في ذلك العمر الصغير,وتشعر الطفلة أنها مجرد سلعة تم بيعها والتخلص منها,ويسهم العامل الاقتصادي بشكل كبير في زواج القاصرات.

❖ **لممارسة الجنسية القسرية:**

في أكثر من ٨٠٪ من الفتيات القاصرات تعبر فيها الفتاة عن عدم رغبتها في ممارسة الجنس,سواء في بداية الحياة الزوجية أو فيما بعد.

ومن آثار هذه العلاقة الجنسية القسرية تهتكات وتشوهات في الأعضاء التناسلية خارجيا وداخليا تؤدي لمشاكل جسدية ونفسية سيئة, وخاصة بعد المرور بمرحلة الحمل والولادة في سن مبكر,ويصبح الجنس والعذاب والألم مرتبطا ببعضه[١].

مما سبق ذكره يتبين لنا حجم الآثار النفسية والجسدية التي تتسبب بها هذه الظاهرة, والمفاسد العظيمة المترتبة على القاصرات إثر هذا الارتباط.

المبحث الثاني
زواج القاصرات من منظور إسلامي

(١) علي سلامة استشاري الطب النفسي والإدمان من الجبيل.

أولاً: النكاح (مفهومة - حكمة - أركانه - شروطه)

النكاح:

لغة:الوطء والجمع بين الشيئين وقد يطلق على العقد.زاد المستقنع(٦/٢٢٣)

شرعا:عقد يعتبر فيه لفظ إنكاح أو تزويج في الجملة والمعقود عليه منفعة الاستمتاع. زاد المستقنع(٦/٢٢٤)

حكمه:

- سنة لذي شهوة لا يخاف الوقوع بالزنا
- مباح لمن لا شهوة له
- واجب لمن يخاف الوقوع بالزنا
- ويحرم بدار حرب إلا لضرورة

أركان النكاح:

للنكاح ثلاثة أركان أحدها الزوجان الخاليان من الموانع والثاني الإيجاب من الولي أو من يقوم مقامه والثالث القبول من الزوج أو من يقوم مقامه.

شروط النكاح:

الأول: تعيين الزوجين (باسمهما أو صفه لا يشاركهما فيها غيرهما).

الثاني: رضاهما فلا يصح النكاح إن أكره أحدهما.

الثالث: الولي, لقول النبي ﷺ (لا نكاح إلا بولي)

الرابع: الشهادة, لقول النبي عليه السلام (لا نكاح إلا بولي, وشاهدي عدل)[٢].

ثانياً: النظرة الإسلامية في تحديد سن معينة:

ينظر الإسلام لتجريم زواج القاصرات أو تحديده بسن معين, أنه تحريم لما أحله الله تعالى في كتابه وتجريم لفعل فعله النبي صلى الله وآله وصحبه وسلم والصحابة والتابعون، وهذا منكر عظيم لا يجوز شرعاً للأدلة القطعية الثابتة من الكتاب والسنة والإجماع وعمل الصحابة، الدالة على جواز الزواج قبل هذا السن وفق الضوابط الشرعية التي تكفل منع الضرر والذي أشار إليها الفقهاء في سياق الحديث عن الإجماع[١].

ومن هذه الأدلة:

أولاً: القرآن الكريم:

قال تعالى: **﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾** (الطلاق: ٤), وفي هذه الآية دلالة واضحة من كتاب الله تعالى على صحة زواج الصغيرة التي لم تحض، ولو كان زواج الصغيرة غير جائز لما ذكر المولى جل وعلا لها

---

(١) عبد الرحمن بن محمد النجدي, حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع, المجلد السادس, الطبعة التاسعة ١٤٢٣هـ

(١) ابن الأثير, جامع الأصول من أحاديث الرسول, دار الكتب العلمية, ١٩٩٨.

عدة في الآية فقال: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾أي الصغيرات، وعلى هذا جميع المفسرين بلا خلاف[٢].

ثانياً: وأما نصوص السنة:

وحسبنا قصة نكاح الرسول ﷺ لعائشة, وأصح الروايات التي أخرجها الأئمة, البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والدرامي وابن ماجه والبيهقي وغيرهم, قد صرحت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين, وبنى بها وهي بنت تسع سنين. انظر جامع الأصول [٤٠٤/١١] وإرواء الغليل [٢٣٠/٦].

وعن عائشة- رضي الله عنها-: (أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع، ومكثت عنده تسعاً) أخرجه البخاري (١٩٧/٥).

قال الداوودي: وكانت عائشة قد شبت شباباً حسناً.

وعن عروة بن الزبير - τ - قال: (توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين) أخرجه البخاري (١٤١٥/٣).

ثالثاً: الإجماع:

أجمع علماء الأمة على جواز تزويج الصغيرة ولم يخالف في ذلك أحد كما حكى ذلك الإمام النووي وابن بطال والمهدي في البحر الزخار وابن هبيرة وابن رشد والمهلب وابن عبدالبر وابن المنذر وابن قدامه، قال ابن المنذر - رحمه الله تعالى-: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن إنكاح الأب ابنته الصغيرة جائز إذا زوجها من كفء»[١].

وقال ابن بطال - رحمه الله تعالى-: «أجمع العلماء أنه يجوز للآباء تزويج الصغار من بناتهم...، إلا أنه لا يجوز لأزواجهن البناء بهن إلا إذا صلحن للوطء واحتملن الرجال، وأحوالهن في ذلك تختلف في قدر خلقهن وطاقتهن»[٢].

وقال ابن قدامه - رحمه الله تعالى-: «وأما الإناث فللأب تزويج ابنته البكر الصغيرة التي لم تبلغ تسع سنين بغير خلاف إذا وضعها في كفاءة» الشرح الكبير (١١٩/٢٠).

رابعاً: عمل الصحابة - رضي الله عنهم - حيث زوج علي - τ - ابنته أم كلثوم - رضي الله عنها- من عمر بن الخطاب وهي جارية لم تبلغ. (الطبقات الكبرى ٤٦٣/٨).

وأخرج عبد الرزاق أن علي بن أبي طالب زوج ابنته أم كلثوم من عمر ابن الخطاب وقد ولدت له قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها عمر - τ - وهي صغيرة لم تبلغ بعد.

---

(٢) محمد ناصر الدين الألباني, إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٥هـ

(١) موفق الدين ابن قدامة/شمس الدين ابن قدامة/المرداوي, المقنع والشرح الكبير والإنصاف,الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ

(٢) ابن سعد, تحقيق: إحسان عباس، الطبقات الكبرى,دار صادر,١٩٦٨ بيروت

(أخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن سعد في الطبقات)
وزوج الزبير ابنة له صغيرة (أخرجه سعيد بن منصور في سننه، وابن أبي شيبة في المصنف بإسناد صحيح).
وقال الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى-: «وزوج غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ ابنته صغيرة».. (كتاب الأم للشافعي).
وعلى هذا كافة المذاهب المتبعة في بلاد الإسلام في كل الأعصار.
كما أن الشريعة الإسلامية تفرق بين جواز الوطء وجواز العقد، فلا تُوطأ إلا إذا كانت صالحة للوطء وتتحمل دخول الزوج عليها، ولذا فإن جواز العقد على الصغيرة في الإسلام لا يستلزم منه جواز الوطء أو زف الصغيرة إلى زوجها إذا كانت غير صالحة لذلك وغير محتملة له، قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: «وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به.. «فاشترط في الزفاف عدم الضرر»[1].
كما أن الشريعة بينت أن ولاية الأب على ابنته ولاية خاصة، والولاية الخاصة مقدمة على الولاية العامة وأقوى منها لكمال حرص الأب وشفقته ورحمته على ابنته، ولا يجوز لأحد منع الأب من اختيار السن المناسب لإعفاف ابنه أو ابنته.

المبحث الثالث
زواج النبي عليه السلام من عائشة رضي الله عنها

شبهة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي طفلة:
لا يكاد يطرح موضوع زواج القاصرات إلا وتذكر حادثة زواج النبي ﷺ بعائشة إما لتعزيز وجهات النظر التي لا ترى مانعا من زواج القاصرات, أو للقدح والنيل من المنهج النبوي الكريم..باتهامه بالتخلف والرجعية ونعته بالقسوة في حق الطفولة..
وللرد على كل من يحاول أن يجد مدخلا للإساءة للسيرة النبوية نذكر أولا الشبهة التي يدعيها المبطلون ثم نتطرق لظروف زواج النبي ﷺ من عائشة ونفند شبهة زواجه بها في سن مبكرة لمقاصد عظيمة ترتفع عن الرغبات الدنيوية..
الشبهة:
زواج الرسول من السيدة عائشة وهي طفلة:

(١) الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي, الأم,جمعه البويطي.

قال أعداء الإسلام إن الرسول ﷺ تزوج السيدة عائشة وهي ابنة ست سنين فكيف لإنسان سوي - على حد زعمهم - أن يتزوج ويعاشر طفلة في مثل هذا العمر ألا يعد ذلك شذوذا وقسوة منه؟!

حداثة الشبهة:

إن تلك الشبهة حديثة وليست بقديمة وهذا يدل على أنها لو كانت مطعنا حقيقا لما تركه أعداء الإسلام الأول الذين بذلوا كل ما في وسعهم للنيل من هذا الدين.

زواجه ﷺ بعائشة اقتراح الخاطبة:

حينما توفيت السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ مكث الحبيب فترة من الزمن عاكفا عن الزواج ولكن حاجة البيت تدعو لوجود امرأة لتربية الأولاد الذين أنجبهم النبي ﷺ من السيدة خديجة فقد أنجب منها كل أولاده عدا إبراهيم فأقبلت عليه خولة بنت حكيم لتعرض عليه أن يتزوج فسألها الحبيب ﷺ عن أي النساء تقصد... حتى أتمت الخاطبة زواجه ﷺ من كل من السيدة سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر الصديق.

سبْق خطوبة السيدة عائشة:

قبل أن يتقدم لها النبي ﷺ كانت السيدة عائشة مخطوبة لجبير بن المطعم بن عدى وهذا يعنى أنها وإن كانت بنت ست سنين إلا أنها كانت تصلح للزواج وقتها من حيث البنية علما بأن ساكنى البلاد الحارة ينمون أسرع ويبلغون أسرع من ساكنى البلاد الباردة.

عادة العرب ألفت ذلك:

ألفت عادة العرب أن يتزوج الرجل بمن هي أصغر منه في السن بصرف النظر عن الفارق بين الطرفين.

التاريخ يشهد على ذلك:

فتلك هى السيدة مريم عليها السلام كانت قد خطبت لابن عمها يوسف النجار وكان عمره وقتها تقريباً تسعة وثمانين سنة وكانت هي ابنة الثانية عشرة من عمرها أي أن الفارق بينهما وقتها كان سبعاً وسبعين سنة.

زواج عبد المطلب وابنه عبد الله:

وثبت أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت في حجر عمها أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأن عبد المطلب بن هاشم جاء بابنه عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ فتزوج عبد الله آمنة بنت وهب وتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم حمزة بن عبد المطلب في مجلس واحد وكان قريب السن من رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة إذا فقد تزوج عبد المطلب فتاة وابنه تزوج أخرى في مثل عمرها وهى ابنة عمها[1].

عمر بن الخطاب تزوج ابنة على:

وتزوج عمر بن الخطاب ابنة علي بن أبى طالب علما بأنه أكبر سنا من أبيها في هذا الوقت بل وعرض الفاروق عمر بن الخطاب على أبى

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٢١٢ لـ محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

بكر أن يتزوج ابنته السيدة حفصة وكانت شابة في ريعان شبابها وكل ما سبق يدل على أن المجتمع في ذلك الوقت تعود مثل هذه الزيجات ولذلك لم تظهر تلك الشبهة إلا من وقت قريب جدا.

الوحي يخبره عليه السلام بزواجه من عائشة:

تدل الأحاديث النبوية الشريفة على أن النبي ﷺ تزوج عائشة - رضي الله عنها - بأمر من عند الله تبارك وتعالى. والدليل على ذلك ما يلي:عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت:

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)(١).

وجه الدلالة:

أن الحبيب ﷺ أخبر السيدة عائشة أنه رآها في منامه مرتين في قطعة من حرير وأخبر أن تلك التي تراها انما هي ابنة أبي بكر وأنها زوجتك يا محمد ومن ثم فإن الذي زوج عائشة للحبيب ﷺ رب العزة من فوق سبع سموات..

النبي ﷺ تزوج عائشة بعد الخمسين:

تزوج النبي ﷺ السيدة عائشة وكان عمره وقتها حوالي خمسين سنة فإن تعقلنا الأمور بموضوعية فإننا سنعرف أن الغرض من هذا الزواج ليس الشهوة ولا الغريزة كما يدعى البعض(٢).

ولكن هذا الزواج كان لأغراض أسمى من أن تصل إليها عقول هؤلاء الحمقى وسنذكر تلك الأغراض بعد قليل..

أكبر وأهم دليل على بطلان الشبهة:

مكثت السيدة عائشة أم المؤمنين زوجة في بيت رسول الله ﷺ ثلاث سنوات قبل أن يدخل بها.

ألا يعد ذلك دليلا على أن النبي ﷺ صاحب نفس سوية فلو كان كما زعموا يعاشر الطفلة الصغيرة لكان قد ثبت أنه جامعها ولو في رواية ضعيفة ولكنه لم يثبت بل ثبت أنه ﷺ دخل بها وهى ابنة تسع سنين أي مكثت في بيته وداره ثلاث سنين دون أن يقربها وهذا أكبر دليل على عفة نفسه ﷺ وعدم قيامه بارتكاب ما حرم الله تبارك وتعالى والدليل على هذا:ما جاء في كثير من كتب السنة الصحيحة يروي قصة زواجه عليه الصلاة السلام من السيدة عائشة ودعونا نسمع منها - رضي الله عنها - تلك القصة: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

(تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٢١٢ لـ محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

(٢) خلاصة سير سيد البشر ﷺ جـ ١ صـ ١٢٥لـ محب الدين أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي

أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لأُنهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)[1].

البنية الجسدية:

كلنا يعلم أن الآباء والأجداد من عصور متقاربة كانوا يتزوجون مبكرا أي في أعمار مبكرة ذلك لأن أجسامهم كانت تختلف عن أجسادنا بكثير من حيث الحجم وأجدادهم كانوا أضخم منهم جسما.

ومعروف أن الإنسان كلما مرت به العصور تقزم أي تضاءل حجمه فلم العجب إذاً إذا كانت الجدات يتزوجن وهن بنات الإحدى عشرة سنة أن تتزوج السيدة عائشة من أكثر من ألف وأربعمائة سنة وهى ابنة تسع سنين.

لماذا تزوج النبي ﷺ السيدة عائشة؟!

كما سبق وأشرنا إلى أن زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة لم يكن بغرض الزواج من حيث الأصل وإنما كان لهذا الزواج أغراض أخرى نشير إليها بشئ من الإيجاز على نحو ما يلي:-

١- توطيد صلته ﷺ بأبي بكر:

أبو بكر هو أكثر من بذل في سبيل الله بعد الحبيب ﷺ وعانى وضحى بماله وعرَّض نفسه للمخاطر مراتٍ ومراتٍ فداءً للحبيب ﷺ ولو مكثنا نتحدث عن فضائل الصديق وبذله لما انتهينا بل إن هذا ما أشار إليه الحبيب ﷺ قبيل وفاته

حينما قال ﷺ في آخر ما خطب به المسلمين.كل من بذل إلينا معروفا كافأناه به إلا أبو بكر فاننا تركنا أجره على الله. ألا يستحق هذا الرجل وآل بيته أن يحظوا بمثل هذا الشرف.

٢- من يحمل هم الدعوة:

لاحظ معي أن الحبيب ﷺ لما تزوج السيدة عائشة لم ينجب منها بل وكانت البكر الوحيد التي تزوجها ﷺ من بين زوجاته وذلك لأن النساء بحاجة إلى من يعلمهن خاصة إذا كان الأمر ذا مشقة أن يتناول بين رجل وامرأة فكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من قامت بهذا الدور

فهي فتاة صغيرة في السن أي يسهل عليها الحفظ والفهم والتلقي وأيضا لا يتحرج منها النساء خلافا إذا كانت كبيرة مثلا في مثل أعمارهن ولا يستحي منها الفتيات الصغيرات لأنها في مثل سنهن لذا فهي من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٦٨١ جـ ٣ ص ١٤١٤ وهذا سند الرواية وهذا سنده حدثني فَرْوَةُ بن أبي الْمَغْرَاءِ حدثنا عَلِيُّ بن مُسْهِرٍ عن هِشَامٍ عن أبيه عن عَائِشَةَ - رضي الله عهنا -.

أكثر النساء رواية للحديث عنه ﷺ وحتى بعد وفاته ظلت تعلم النساء أمور دينهن وكانت وقتها ابنة الثامنة عشره من عمرها - رضي الله عنها -..

٣- من العلم الفقه والسيرة:

تشير كتب السيرة والفقه إلى أن السيدة عائشة كانت مرجعا هاما للمسلمين بعد وفاته ﷺ في الأمور الفقهية وكذلك في سيرته ﷺ وكانت تراجع الحفظة والرواة في حفظهم - رضى الله عنها -.

قال الإمام الزهري - رحمه الله -: لو جمع علم عائشة إلى علم أمهات المؤمنين بل إلى علم النساء كافة لرجح علم عائشة - رضي الله عنها -.

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيا[1] لم ينزل الوحي إلا في بيت عائشة:

وليعلم هؤلاء المضللون أن الوحي لم يكن ينزل على سيدنا محمد ﷺ إلا في بيت السيدة عائشة ولم ينزل عليه ﷺ في سائر بيوت زوجاته وهذا يؤكد أن زواجه ﷺ منها كان من أهم أغراضه أن تكون السيدة عائشة معلمة وناقلة عنه ﷺ وهذا طبعا لا يشمل السيدة خديجة بنت خويلد الزوجة الأولى للرسول ﷺ.

الدليل على ذلك عن أُمّ سلمه زَوْج النبي ﷺ قالت:

[كلمني صواحبي أن أُكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وسلم أَنْ يَأْمُرَ الناس فَيُهْدُونَ له حَيْثُ كان فإنهُمْ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدِيَّتِهِ يوم عَائِشَةَ وأنا نُحِبُّ الْخَيْرَ كما تُحِبُّهُ عَائِشَةُ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إن صواحبي كلمنني أن أُكَلِّمَكَ لِتَأْمُرَ الناس أن يُهْدُوا لك حَيْثُ كُنْتَ فإن الناس يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يوم عَائِشَةَ وَإِنَّمَا نُحِبُّ الْخَيْرَ كما تُحِبُّ عَائِشَةُ قالت: فَسَكَتَ النبي ﷺ ولم يراجعني فجاءني صواحبي فَأَخْبَرْتُهُنَّ أنه لم يكلمني فَقُلْنَ: لاَ تَدَعِيهِ وما هذا حين تَدَعِينَهُ قالت: ثُمَّ دَارَ فَكَلَّمْتُهُ أن صواحبي قد أمرنني أن أُكَلِّمَكَ تَأْمُرُ الناس فَلْيُهْدُوا لك حَيْثُ كُنْتَ فقالت له مِثْلَ تِلْكَ الْمَقَالَةِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاَثاً كُلُّ ذلك يَسْكُتُ عنها رسول اللهِ ﷺ ثُمَّ قالَ: يا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تؤذيني في عَائِشَةَ فانه والله ما نَزَلَ عَلَيَّ الوحي وأنا في بَيْتِ امْرَأَةٍ من نسائي غير عَائِشَةَ فقالت: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أُسُوءَكَ في عَائِشَةَ][1].

وجه الدلالة:

ووجه الدلالة من هذا الحديث النبوي الشريف أن الرسول ﷺ حينما طلبت منه زوجته السيدة أم سلمة أن يأمر الناس بأن يأتوا بهداياهم فى أيام سائر نسائه ﷺ لأن الناس تعودوا على أن يرسلوا هداياهم في يوم عائشة قال لها ﷺ لا تؤذيني فى عائشة فإن الوحي لا يأتيني في بيت إحداكن إلا في بيتها...

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تأليف: الإمام بدر الدين الزركشي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، الطبعة: الثانية، تحقيق: سعيد الأفغاني ج ١ ص ٥٦. تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى ج ١٢ ص ٤٦٣

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر ج ٦ ص ٢٩٣ وهذا سنده ٢٦٥٥٥ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو أسامة قال أنا هِشَامٌ يَعْنِي بن عُرْوَةَ عن عَوْفِ بن الحرث بن الطُّفَيْلِ عن رُمَيْثَةَ أُمِّ عبد اللَّهِ بن مُحَمَّدِ بن أبي.

ولهذا فإن لها ما لها من المكانة سواء بين المسلمين أو في قلبه ﷺ وهو لا يريد أن يضيع تلك المكانة والخير خير بصرف النظر عن المكان الذي يفعل فيه.

أبيض

المبحث الرابع
ملخص البحث والنتائج والتوصيات

١- ملخص البحث:

في نهاية البحث و بعد تناول جوانب متعددة للموضوع بما فيها تعريف القاصرات والأسباب والآثار المترتبة على تزويجهن, ورأي الشارع الحكيم في ذلك..

تبين للباحث أن زواج القاصرات من رجال يكبرونهن سنا, ما هو إلا قتل للطفولة البريئة, وتكليف القاصرة بما لا يلائم تكوينها الجسمي والعقلي لتحمل مسؤولية الحمل والولادة والتربية والقيام بمهام عش الزوجية على أكمل وجه.

ومن باب سد الذرائع وتحقيق المصلحة العامة يرى الباحث أن سن قانون يحدد عمراً معيناً للزواج ليس حلاً, إنما ينبغي على الفقهاء والعلماء توعية أولياء الأمور بعواقب تزويج بناتهم في عمر مبكر.

كما يرى الباحث أن تجريم زواج القاصرات رأي غير مقبول ؛ لأن المحدد الرئيس لأهلية الأنثى اكتمال نموها الجسمي ومدى استعدادها لتحمل الأعباء والمسؤوليات كأم وزوجة.

٢- النتائج:

١- على الرغم من أهمية وضع حد لهذه الظاهرة, إلا أنه مازال مجال اختلاف وعدم اتفاق الباحثين والأكاديميين بهذا الأمر حيث تباينت الآراء والحلول المقترحة .

٢- في السنوات الأخيرة زاد الاهتمام إعلاميا بشكل كبير وواضح بقضية تزويج القاصرات خصوصا من كبار السن وأصبحت من القضايا التي تشغل الرأي العام.

٣- إن تطبيق ضوابط الشريعة الإسلامية في النكاح هو المخرج والحل الفعال لضمان حقوق القاصرات في اختيار الزوج وشريك الحياة.

٤- بيان وجود تأثير بالغ على العديد من النواحي الاجتماعية والإنسانية إثر هذا النوع من الارتباط .

٥- إن دراسة وتحليل أسباب ودوافع تزويج القاصرة هي التي تعمل على الحد من تنامي الظاهرة وذلك بنشر الوعي بين أفراد المجتمع .

٦- إن تبصير المجتمع وتفعيل الحوار حول هذا الأمر يساعد على الحد من تناميها المتزايد ويساهم في مكافحة الجهل الذي يحيط ببعض فئات المجتمع ما يدفعهم للتسرع في تزويج بناتهم.

٧- الالتزام بتطبيق الجوانب التشريعية لتنظيم الزواج ينعكس بشكل جيد على التنشئة الاجتماعية.

٣- التوصيات:

١- على الباحثين والأكاديميين والمنظمات الحقوقية الاهتمام بصورة أكبر بموضوع تزويج القاصرات في الوطن العربي وذلك من خلال عقد الندوات والمؤتمرات واللقاءات.

٢- العمل على زيادة الوعي والتثقيف بين أفراد المجتمع.

٣- تنمية وعي وإدراك المأذون الشرعي وعاقدي الأنكحة بعدم عقد مثل هذه الزيجات وتنبيه الولي بالأثر المترتب على ذلك من خلال الموعظة والتذكير الحسن.
٤- إصدار رؤية موحدة حول هذه الظاهرة من قبل المهتمين وتوحيد وجهات النظر.
٥- سن التشريعات والأنظمة والقوانين التي تحد من تسلط الولي على مواليه.

المراجع والمصادر

(١) القرآن الكريم.
(٢) السنة النبوية.
(٣) ابن سعد. الطبقات الكبرى, دار صادر, بيروت, ١٩٦٨م.
(٤) ابن قدامه. موفق الدين, ابن قدامه.شمس الدين, المقنع والشرح الكبير والإنصاف, ١٤١٤ هـ, الطبعة الأولى.
(٥) ابن الأثير, جامع الأصول من أحاديث الرسول, دار الكتب العلمية, ١٩٩٨م.
(٦) د. أبو العزم. عبد الغني, معجم الغني, عين الشف, الدار البيضاء.
(٧) الألباني. محمد ناصر الدين, إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل, المكتب الإسلامي, بيروت، ١٤٠٥م.
(٨) الزركشي. بدر الدين, الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة, المكتب الإسلامي, بيروت, ١٩٧٠م, الطبعة الثانية.
(٩) الشافعي. محمد بن إدريس, الأم, دار المعرفة, ١٩٩٠م.
(١٠) الشيباني. أحمد بن حنبل, مسند الإمام أحمد بن حنبل, مؤسسة قرطبة, ١٤٢١هـ.
(١١) الطبري. محب الدين أبي جعفر بن عبد الله, خلاصة سير سيد البشر ﷺ, مكتبة نزار مصطفى الباز, مكة المكرمة, ١٩٩٧م, الطبعة الأولى.
(١٢) العسقلاني. أحمد بن حجر, تهذيب التهذيب, دار الفكر, بيروت, ١٩٨٤م, الطبعة الأولى.
(١٣) أ.د.الكردي. أحمد الحجي, مصطلحات فقهية, ٢٠٠٦م.
(١٤) النجدي. عبد الرحمن بن محمد, حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع, المجلد السادس, ١٤٢٤ هـ, الطبعة التاسعة.
(١٥) النيسابوري. محمد بن عبد الله, المستدرك على الصحيحين, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٩٠م, الطبعة الأولى.
(١٦) عمر. أحمد مختار, معجم اللغة العربية المعاصرة, عالم الكتب, القاهرة, ٢٠٠٨م.

أبيض

الفهرس

الموضـــوعات
الصفحة
المقدمة ٣
مشكلة البحث وأهدافه ٣
منهجية البحث وأهميته ٤
المبحـــــــث الأول: مفهـــــــوم وأســـــــباب وآثـــــــار زواج القاصـــــــرات
.... ٧
المبحـــــــث الثـــــــاني: زواج القاصـــــــرات مـــــــن منظـــــــور إســـــــلامي
.... ١٣
المبحـــــــث الثالـــــــث: زواج النبـــــــي عليـــــــه الســـــــلام بعائشـــــــة
.... ١٧
المبحث الرابع: ملخص البحث والنتائج والتوصيات ....
٢٥
المراجع والمصـادر ....
٢٧
الفهرس ٢٩

أبيض